جامعة سيدة اللويزة
NDU
GAUDIUM DE VERITATE

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة
الأب وليد موسى
في عيد تأسيس الجامعة

٢٠١٣/٥/٩ – الجامعة والتحدّي الحضاري الإنساني –

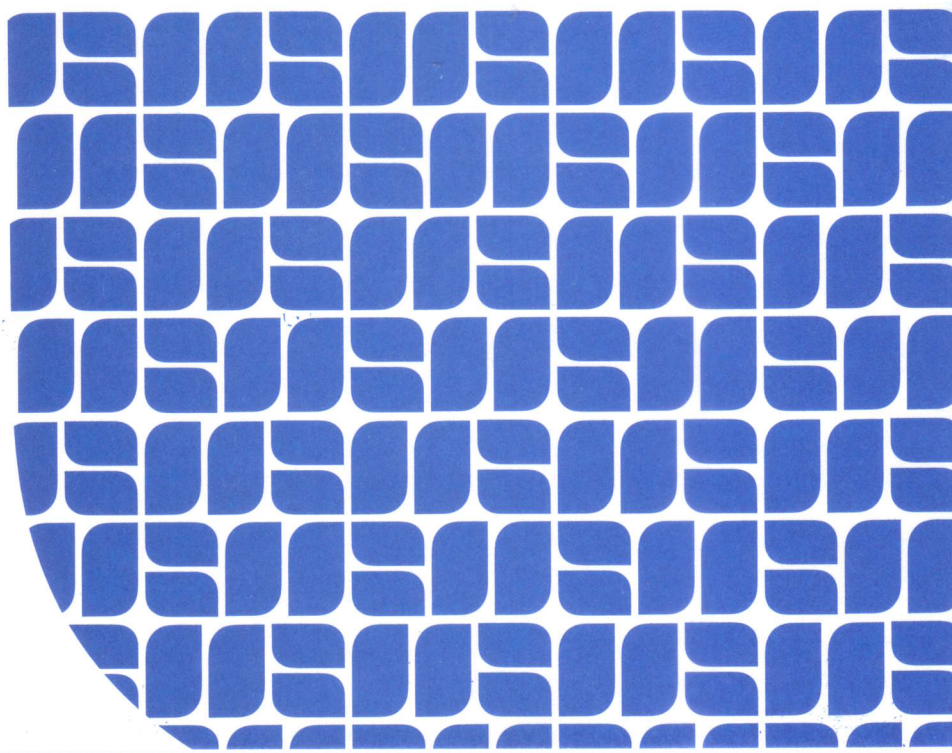

الجامعة والتحدّي الحضاري الإنساني

أيها الأصدقاء

تجتاح العالم اليوم، موجةٌ من الهلع السياسي الحضاري الكوني، ويختصر أحدُهم هذا الواقعَ المأزوم بالقول: نحن في عصر الإرهاب. الجنون، الغضب، هستيريا الفوضى والقتل. رائحةُ الدم تنتشر في جميع أنحاء العالم. عنفٌ متوحّش بدائي يواجهُه عنفٌ تقني حضاري، فلا ندري أيّهما الأكثر عنفاً. أظافر طويلة ومتّسخة، وأظافر مقلّمة وملوّنة، وجميعها تجرح. العالم في حالة اختلال، حتى لنكاد نقول أنّ الجنون الأعمى يتحكّم بالمصائر والقرارات، وحتى نكاد نتساءل: هل بلغت البشرية نقطةَ الاضطراب الوجودي القاتل الذي يسعى كل قطب منه إلى إلغاء الآخر؟ وهل تخلّى الانسانُ القادر والفاعل عن قيمه ومبادئه ليسقط في قاع الإفلاسِ الأخلاقي، الذي لا بعدَه قيامة؟

انها نظرةٌ متشائمة تسيطر على بعض أهل الفكر والرأي، وتُثير القلق وتدعو إلى الحَذَر واليقظة. وهي، هذه النظرة بالذات، التي تدعونا، نحن، بُناة الجامعات وأساتذتُها ومسؤولوها، إلى وقفة تأمّل، كي لا نساهم، من حيث ندري أو لا ندري، وتحت شعار العلم والتربية، في تعميق هذه المأساة الانسانية الزاحفة، فنكون كمن يُخفي رأسه، ظنّاً منه أن العاصفةَ ستمرّ، ولن تصيبَه بأذى.

أيها الأصدقاء

ربّما نكون نحن، في لبنان، نقطةً في بحر. نتأثّر ولا نؤثّر، نتخبّط كغيرنا، ولا بوصلة ترشدنا إلى الطريق، نجلس على الرصيف وننتظر. العالم كلّه ينفجر من حولنا، الأرض تزلزل؛ قياداتنا، في معظمها، تبحث عن مصالحها الذاتية، السياسة تشوّه كل المفاهيم إلى حدّ القول مع سيّدنا البطريرك الراعي في رسالته العامة الأولى:

«ان التنافس السياسي طبيعي ومطلوب في الديمقراطية. ولكن أن يستمر الأفرقاء المتنازعون سياسياً في السعي إلى الإلغاء المتبادل وحتّى التخوين أحياناً، وفي الاستمرار في تقاسم خيور الدولة والعبث بمالها، فأمرٌ غير مقبول.»

واذا كنا لا نزال حتى اليوم عاجزين عن تأليف حكومة او وضع قانون انتخابي او إجراء انتخابات ديمقراطية حرّة، فمعنى ذلك أننا، بمعنى أو بآخر، غير مؤّهلين لقيادة هذا الوطن.

هنا، وبعيداً عن التراشق بالتهم، وتبادل الكرة، والتساؤل: من المسؤول؟ ولماذا وصلنا إلى ما وصلنا اليه في لبنان، مجتمعاً وسياسة واقتصاداً وتربية؟

بعيداً عن كلّ ذلك، أعترفُ أمامكم أنّ جزءاً من المسؤولية يقع علينا، نحن قادةَ المؤسسات التربوية، ولا سيّما الجامعات.

أجل، أيها الأصدقاء، لبنان، ومنذ حوالي أربعين عاماً، يعاني أزمةً تطال وجوده ودوره: وجودَه المستقلّ الحرّ، ودورَه الحضاري الانساني. لم نستطع أن نبني دولة أو أن نحصّن ادارة، أو أن ننمّي اقتصاداً فاعلاً، او أن نجذّر أنفسَنا في وحدة وطنية صادقة. تحوّلنا إلى قبائل ومذاهب، تمسّكنا بالسلاح ولقّمناه بشهوات القتل. وتحوّلت شاشاتُنا الى مسارح للاتهامات والإشاعات والأكاذيب. وأُطلِقت على مؤسساتنا التربوية تسمياتٌ تجاريّة معيبة حتى لنكاد نفقد الثقةَ بأنفسنا، ونصدّق ما قيل وما يقال عن عدم اهليتنا لبناء وطن.

لماذا نحن مسؤولون؟ أجيب بثلاثة:

١- لبنان، في هذه المنطقة، ومنذ نشأته، ومنذ تأسيسه ككيان مستقلّ، كان مكلّفاً أو مسؤولاً أو مضطلعاً بدور حضاري في هذه المنطقة:

ماذا يعني دور حضاري؟ يعني دور المدنية الحديثة المتمثّلة بالجريدة والمدرسة والجامعة والمطبعة والمظاهرة والمسرحيّة والقصيدة والأغنية، والفنّ على أنواعه، والرياضة، وطبعاً السياحة بوجهيها المشمس والمُثلج.

وهذا الدور هو انساني بامتياز، فالحضارة، كما يقول Georges Duhamel: "لا يمكن ايجادها، إلاّ في ذات الانسان، وليس في أي مكان آخر."

هل ما يزال لنا هذا الدور؟ هل تجاوزنا الآخرون؟ هل استفادوا من ضَياعنا ومشاكلنا، ليسرقوا منّا، وهذا حقّهم، ربّما، الدورَ الحضاري؟ كانت الجامعة، في لبنان، مقصداً لجميع الطلاّب العرب والشرق الأوسط، كانت القِمّة في الفكر الحرّ والإبداع. كانت مسرحَ النضال والثورة والتغيير. تُراها لا تزال في هذا الموقع؟

اذا فقدنا، أيها الأصدقاء، كوطن وكجامعة، الدورَ الحضاري. فسلام علينا ورحمةُ الله.

٢- لماذا نحن مسؤولون... الجواب الثاني:

لأنّ لبنانَ وجد ليكون وطنَ التنوّع والتعدّد، على جميع الصعد الثقافية والدينية والاجتماعية وحتى... العِرقية.

منحنا اللّهُ والطبيعةُ هذه الصورة المميّزة. جعلتنا الجغرافيا جسر عبور بين الشرق والغرب، آمن بنا الآخرون حتّى أطلق علينا البابا يوحنا بولس الثاني: **لبنان أكثر من وطن، انه رسالة.**

وقد وردَ في الرسالة العامّة الثانية للبطريرك الراعي ما يلي:

«يتبيّن من الصيغة الميثاقية أن لبنان دولةٌ مدنيّة غير دينية، بمعنى أنّه لا يعتمد ديناً للدولة، ولا كتاباً دينياً، الانجيل أو القرآن، كمصدر للتشريع".

ويقول شارل مالك: "انّ اللحظةَ التي يبطل فيها التساوي الكياني بين المسلم والمسيحي في لبنان، يبطلُ لبنان."

أين نحن اليوم، من هذه التعدّدية؟ ألسنا مهدّدين، كلّنا، ومن جميع الفئات، بتهجير واستيطان؟ يقدّمون لنا كل يوم، خرائط جديدة، يقسّمون ويفتتون المنطقة، وينشرون فيها روح الأصولية العمياء، وشعور التعصّب الأعمى، فلا احترام لآخر، ولا حقّ بتقرير المصير، ولا اعتراف باستقلالية وقانون.

فماذا فعلنا، كمؤسسات تربويّة وتعليمية، لإنماء هذه التعدّدية، عوض المساهمة في قتلها ودفنها؟

اذا فقدت الجامعة دورها، في الحفاظ على التعددية، وصيانتها وإنمائها، فقدنا لبنان. الجامعة وُجدت لتجمع: الرجال والنساء، العقائد المختلفة، الأحزاب المختلفة، الأديان المختلفة، القطاعات المختلفة، القوميات المختلفة... وجدت ليكون مسرَحها منبر حوار ونقاش وتفاعل... وليتعارف طلاّبها بعضهم ببعض...

اذا فقدنا، أيها الأصدقاء، مرّة ثانية، كوطن وكجامعة، دورَ صيانة التعدّد واحترام التنوّع، فسلام علينا ورحمة اللّه.

٣- لماذا نحن مسؤولون... الجواب الثالث: لأنّنا أبناء وبنات الايمان، الايمان باللّه الواحد. جميع المدن والقرى في لبنان، في الساحل والجبل، ومن الجنوب إلى الشمال غنيّة بالكنائس والمساجد والخلوات والأديار والأنصاب والمزارات والمقامات. أينما وقع النظر، يقع على قبب ومآذن، وهنا، يُطرح السؤال الوجودي البديهي: هل نحن مؤمنون فعلاً وقولاً، أم نحن جماعة تعصّب وتحدٍّ؟

بنديكتوس السادس عشر، الحبر الأعظم المستعفي ليختلي بربّه، أعلن سنتَنا هذه سنةُ الايمان. تعالوا نستنطق ضمائرنا: هل نحن مؤمنون؟

مسيحنا نادانا للمحبّة، أحبّوا بعضكم بعضاً، لم يفرّق ولم يميّز، افتدانا جميعاً، ولم يستثنِ.

وجاء الإرشاد الرسولي الأخير ليقول: "الحرية الدينية قمّة كل الحريات، من الضروري الانتقال من التسامح إلى الحرية الدينية. باستطاعة الأديان أن تلتقي معاً لخدمة الخير العام وبناء المجتمع؛ اسعوا أن تعيشوا في اتحاد واحترام وشركة أخوية بعضكم مع بعض".

وجاء في القرآن الكريم: "يا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سَواء، بيننا وبينكم، ألاّ نعبدَ إلاّ اللّه ولا نُشركُ به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه".

هذا هو الايمان الحقيقي، البعيد عن كلّ الأحقاد والعصبيّات والهويات القاتلة.

أما اذا فقدت الجامعةُ دورَها في تعميق هذا الايمان في نفوس أساتذتها وطلاّبها وموظّفيها، فأي دور لها وأي مستقبل.

اذا فقدنا أيها الأصدقاء مرّة ثالثة، كوطن وكجامعة، هذا الدور الايماني الكبير، تحوّلنا إلى طوائف تتنابذ وتتقاتل، وبدلاً من أن نتمسّك بحقوق الانسان، تمسّكنا بحقوق الطوائف، فكانت الانقسامات والصراعات، وكان الخراب. اللهم نجّنا في جامعتنا، كما في كل الجامعات والمؤسسات التربوية، من هذا التطيّف الأعمى، ليبقى لنا الايمان الصادق الحقيقي الذي، وحده، يجمع البشر، ويحقّق كرامة الانسان.

أجل، أيها الأصدقاء، عالمنا يحيا حالة تمزّق وضياع وموت. نحن مدعوون، في لبنان، إلى مواجهة مصيرية، ننتصر فيها على لعنة العنف والتحدّي، اذا عملنا على استعادة الدور الثلاثي الأبعاد:

الدور الحضاري في المنطقة.

الدور الانساني في التعارف والتعاضد والتمسّك بنعمة التنوّع والتعدّد.

الدور الايماني في تنزيه اللّه عن مآربنا الشخصيّة وشهواتنا الدنيوية، لكي نكون أبناءً له، يجمعنا بمحبّته، ويقود خطانا نحو الخير والحقّ والجمال.

فيا اخوتي، أسرة هذه الجامعة.

هذه هي رسالتي اليوم، لستُ خائفاً ولا مضطرباً ولا خجولاً. تعلمون جميعاً أنّنا نسعى، بكل القوى والوسائل والإصلاحات إلى الحصول على ضمان جودة التعليم، في جامعتنا، وعلى التمكّن من الحصول على الاعتماد من أعلى السلطات الأكاديمية في العالم. وقد اقتربنا من تحقيق هذه الأمنية. ولكن معاناتنا الانسانية تستمرّ، بسبب ما نشاهده وما نعيشه من أوضاع، في بلدنا، وفي المنطقة، فتعالوا إلى نهضة عامّة، نحاول من خلالها، إنقاذ الجامعة، إنقاذ الوطن، ولا أبالغ اذا قلت إنقاذ العالم. فكلّنا مسؤولون أمام اللّه، وأمام الضمير، وأمام الانسانية المعذّبة.

عيد الجامعة، اليوم؛ أعاده اللّه عليكم بالخير والبركة، هو محطة فرح ودعوة تأمّل، فشكراً لكم، شكراً للرهبانية المارونية المريمية بشخص رئيسها العام الأباتي بطرس طربيه ومجلس مدبّريها، وتحيّة تقدير إلى مجلس الأمناء بشخص رئيسه الدكتور فرنسوا باسيل والأعضاء جميعاً، ولكم، أيها الأحبّاء، مسؤولي الجامعة وأساتذتها وموظّفيها وطلاّبها وخرّيجيها، ألف تحيّة حبّ... وايماني كبير أن اللّه معنا... ولبنان باقٍ.

عشتم، عاشت الجامعة، وعاش لبنان.